مقدمة:

فمنذ أن وعيت، وتفهمت القيمة الإبداعية والإنسانية للإبداع الأدبي، وأخذت أطالع كثيراً من الأعمال الأدبية للأدباء في مصر بشتى توجهاتهم الفكرية، وهوياتهم الإبداعية، ممن لهم حضورهم المتدفق على خارطة الإبداع.. منذ أن وعيت ذلك، وأنا مبهور بهذه الإبداعات الرائعة، إلى أن اتجهت بدراساتي نحو الأدب الإسلامي. وأتيحت لي الفرصة خلال هذه المرحلة، أن أرتاد هذه الأرض البكر، المليئة بالمقومات الحضارية الرائدة في مجال الإبداع الأدبي من خلال قراءتي لإبداعات الأديب الإسلامي الدكتور «نجيب الكيلاني».. «المنظّر الأول لنظرية الأدب الإسلامي»... كما قال شيخ الروائيين العرب الأديب «نجيب محفوظ».

وأثناء هذه القراءات، بهرتني إلى حد كبير تلك النماذج الإسلامية الرائعة التي تطرحها إبداعات الكيلاني، ووجدتها تختلف كثيراً عن أطروحات الإبداعيين المعاصرين له أمثال: / عبد الرحمن الشرقاوي، وثروت أباظة، وطه حسين، ونجيب محفوظ... إذ لكل منهم هويته الإبداعية، وخصوصياته الفكرية، التي يمتاز فيها عن غيره، بل ربما تختلف من عمل إلى عمل آخر، من نتاج المبدع نفسه.

وكان ذلك دافعي نحو دراسة هذه القضية، ومحركي الأول تجاهها وليس ذلك فحسب، بل هناك ما لمسته من أجهزة الإعلام من مدى الإصرار على محاصرة «الشخصية الإسلامية» وتشويهها، والسخرية منها، بل وتحطيمها، في أكثر الأعمال الأدبية المذاعة أو المتلفزة...

وليس هذا لشيء، إلا لأنها الشخصية التي صنعها الإسلام، ورباها هذه التربية السامية...!!.

من ثم، كان لزاماً، أن أتناول هذه الشخصية في هذه الإبداعات، وأناقش مبدعيها مناقشة هادئة لا تخرج عن الواقع النقدي للإبداع، والحضاري للأمة الإسلامية، حتى نتبين مدى الجور الذي وقع على هذه النماذج الإنسانية الحضارية في واقعنا الإسلامي... ومن ثم، مدى الجرم الذي ارتكبه هؤلاء عندما وضعوها في إطار لا يتناسب ومقوماتها الحضارية الإسلامية.

من هنا، اخترت الفكرة، وذهبت أتابع القراءة حول النماذج الرامزة إلى الإسلام، لألملم ملامحها، بوصفها أنموذجاً بشرياً «تلتقي خلاله المبادئ الإسلامية، والقيم الإنسانية الرفيعة فتنتصب قدوة، أو أنموذجاً يتميز برد فعل معين تجاه الأحداث والمواقف، فتخطئ وتصيب شأن طبيعة البشر، لكن عطاءها النهائي، أو محصلة سلوكها، توحي بالأمل، وتترك التأثير المقنع، وفق قناعات فكرية وفنية مقبولة لدى المتلقي... فهي شخصية ترمز إلى قيم الحق والخير والفضيلة، وتصارع نزواتها وضعفها وهواها بالطريقة الطبيعية، وعلى ضوء التربية الإسلامية، أو التجربة الحضارية للمجتمع المسلم الصحيح» [١]

وذهبت أبحث عن هذه الشخصية محاولاً مناقشة إشكالياتها في نماذج من روايات كتّابنا المصريين في الأدب الحديث فأضعها تحت

---

١ - رحلتي مع الأدب الإسلامي ص ٦٩ نجيب الكيلاني «بتصرف» مؤسسة الرسالة طبعة أولى ١٩٨٥م. بيروت.

مجهر الرؤية الإسلامية التي سنعرض لها في إطاريْها الإيجابي والسلبي، لنتعرف على قيمة هذا التصوير وأثره في بناء الشخصية الفنية من جهة، وبناء الرواية من جهة أخرى، لنقدم الرؤية الخاصة للمبدع في ضوء إبداعه لهذه الشخصية التي تمثل مع غيرها من مفردات القص الأدبي أيديولوجية (مذهبية) فكرية معينة تحكم تصوره، وتسفر - في جلاء - عن المعتقد الفكري للمبدع، وإلى أي مدى نجح الكاتب في إبداع هذه الشخصية وما قيمتها في البناء الكلي للعمل الفني الذي نحن بصدده.

ستتناول الدراسة - بالتحليل والنقد:

أولاً:

الشخصية الإسلامية في الرواية عامة، النمط الإنساني المرتبط بالإسلام في الروايات الواقعية والاجتماعية والسياسية، النموذج المستمد من الواقع الاجتماعي، أو السياسي، أو الاقتصادي، التي ترتبط في تكوينها الإنساني بعقيدة الإسلام، أو ترمز إلى قيمة من قيمة الإنسانية في حياة البشر.

ثانياً:

الشخصية الإسلامية «التاريخية» في الروايات التاريخية التي يتناول النماذج الإنسانية في تاريخنا، وتقدم أنموذجاً فاعلاً في تشكيل هوية الأمة ولثراء هذه الشخصيات وإشراقها في ذاكرة الأمة، ووعيها الثقافي، وحضورها الفاعل في حياتنا على امتدادها منذ بزوغ فجر الإسلام وحتى العصر الحديث، في إطاريها السلبي والإيجابي على امتداد خارطة الإبداع في مصر.

في ضوء هذا المنهج النقدي التحليلي طرحت هذه النماذج الإنسانية الإسلامية، التي عثرت عليها في الروايات الأدبية للكُتَّاب المصريين، متخذاً منها نماذج تطرح - في جلاء ووضوح - المذهبية الفكرية لكل مبدع، والتشكيل الإبداعي الذي يستغله في تقديم هذه الرؤى أو الأفكار المطروحة خلال الرواية.

ومن ثم، كان من الضروري تقديم رؤية الإسلام، أو تصوره للشخصية الإسلامية، حتى يمكننا تشريح النص الروائي على ضوء هذه الرؤية الإبداعية للكاتب، لتتضح لنا معالم مذهبه الفكري والإبداعي في المقاربة النقدية، التي تطرحها هذه الدراسة.

وبناء على ذلك ستعنى الدراسة بتقديم الرؤية الفنية للشخصية، مفهومها، وإمكاناتها، وطاقاتها الإبداعية، ثم الرؤية الإسلامية أو التصور الإسلامي لإبداع هذه الشخصية، المنتجة من الواقع أو التاريخ بوصفها من أهم مصادر إبداعها... ودور الدين (العقيدة الإسلامية) في بنائها، ومن ثم نتاجها الفكري، بوصفها شخصية، وهي هذا الفكر الذي يرفع من قيمة الإنسان في المجتمع ويجعله من أهم مقومات بنائه الحضاري.

ونتناول أخيراً مجموعة من النماذج المختلفة التي تتصل في مهمات حياتها بالإسلام وأدواره المختلفة في تشكيل هوية الإنسان في الحياة.. فهي شخصيات محسوبة على الإسلام ومن ثم، ترمز إليه في مجمل معطياته الحضارية... حتى إن الانحراف - في نظر هؤلاء المبدعين - ليس انحراف النماذج في ذاتها، ولكنه انحراف في المُعْطى الحضاري الذي يرمز إليه هذا النموذج أو ذاك..